ولم يكن مدهشا ومفاجئا أن يستجيب المسؤولون الاسرائيليون الى هذه المطالبة الشعبية ، فقد وجدت المحكمة العسكرية العليا للاستئناف ان الحكم الصادر ضد القتلة كان قاسيا جدا ومن الواجب تخفيفه ، فأصدرت حكما بتخفيض الحكم ضد مالينكي الى ١٤ سنة ، وضد دهان الى عشر سنوات ، وضد عوفر الى تسع سنوات . ثم تدخل رئيس أركان الجيش فخفض الحكم ضد مالينكي الى عشر سنوات ، وضد دهان الى ثماني سنوات ، وضد بقية القتلة الى أربع سنوات .

وجاء رئيس الدولة ليعمق مبادىء عدالة القتل الاسرائيلي ، فمنح كلا من مالينكي ودهان عفوا جزئيا وخفض الاحكام ضدهما الى خمس سنوات !..

لقد أخذت سلسلة التخفيفات هذه شكل المباراة في تقديم المكافآت الى القتلة تقديرا لنجاحهم في القتل بدم بارد ، فتبرعت « لجنة اطلاق سراح المسجونين » بتخفيض الثلث من مدة السجن لكل واحد من المحكوم عليهم . وأطلق سراح آخر واحد من القتلة في بداية عام ١٩٦٠ . ووجد المسؤولون الاسرائيليون ان جبرائيل دهان الذي قتل ٤٣ عربيا خلال ساعة واحدة يستحق وظيفة مدنية جديرة بصلات الدم التي تربطه بالعرب ، فأعلنت بلدية الرملة في العام ذاته انها قبلت دهان للعمل فيها بوظيفة « المسؤول عن شؤون العرب في المدينة » .

وماذا عن اللواء شدمي الذي أصدر اوامره الى مالينكي ؟.واوصاه بأن ينشر بين جنوده تعاليم « بدون عواطف » ؟. وماذا عن المصدر الكبير الذي تلقى منه شدمي الاوامر العليا ؟. ان محاكمة شدمي ، بصورة حقيقية ، ستكشف النقاب عن المصدر الاعلى للاوامر . ولذلك ، قدم شدمي امام محكمة عسكرية صورية عين اعضاءها رئيس أركان الجيش .

تمت المحاكمة بشكل سريع . ووجدت المحكمة ان شدمي مذنب في « خطأ تكني فقط » . ولهذا حكمت .. بتوبيخه ، وبدفع غرامة مالية قدرها : قرش اسرائيلي واحد .

لعل قرش شدمي اثمن عملية في تاريخ الجرائم . ستطول شهرته كثيرا ما دام للجريمة مكان على سطح الكرة الارضية . ان المسؤول عن قتل تسعة وأربعين مدنيا بريئا في قرية آمنة يعاقب بدفع قرش واحد . هذا لا يحدث كثيرا .. لا يحدث كثيرا في التاريخ ، الا عندما يتعلم ضحايا النازية كيف يقلدون قتلتهم . هذا هو الدرس الذي تعلمه اصحاب التطبيق الصهيوني على أرض فلسطين . ان الحقد التاريخي الذي عبأت به الصهيونية جنودها ضد الانسانية والعالم يجري تدريباته وتمريناته على اللحم العربي الذي أصبح معهدا لتخرج خبراء القتل المجاني .. القتل الذي لا معنى ولا هدف له الا تفريغ مركبات النقص .

وماذا كتب آحاد هعام ــ المفكر اليهودي الذي كرس حياته لدعوى الصهيونية ومقاومة اندماج اليهود في أوروبا الشرقية ؟ ماذا كتب حين شاهد ، بعينيه ، سلوك المهاجرين اليهود الى فلسطين عام ١٨٩١ ، وقبل أن ينشئوا دولتهم ؟ كتب : « وماذا يفعل اخواننا المهاجرون اليهود في فلسطين ؟ كانوا عبيدا في بلاد الدياسبورا ، وفجأة وجدوا أنفسهم وسط حرية بلا حدود ، وسط حرية لا رادع لها . ولقد ولد هذا التحول المفاجىء في نفوسهم ميلا الى الاستبداد ، كما تكون الحال عندما يصير العبد سيدا . وهم يعاملون العرب بروح العداء والشراسة ، ويمتهنون حقوقهم بصورة معوجة ولا معقولة ، ثم يوجهون لهم الاهانات دون أي مبرر كاف ويفاخرون بتلك الافعال فوق كل ذلك . وليس هناك بيننا من يقف بوجه هذا الميل الخسيس والخطير في آن واحد » . اذا كان آحاد هعام الصهيوني الكلاسيكي قد اشتكى من شراسة المهاجرين الاوائل ، قبل ان ينشئوا دولة ويملكوا جيشا وسلاحا ، فماذا من الممكن أن يكتب المراقب الآن بعدما تحولت الجريمة الى المبرر والوسيلة الوحيدتين لبقاء الحكم الاسرائيلي ؟.